مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية سلسلة العلوم الإنسانية عدد (6) لعام 1417 هـ 1996 م عدد خاص بندوة التعريب وصلته بشخصيتنا الوطنية والقومية

حرية التعريب وأحكام العربية

د. محمد اسماعيل بصَل*

إن أول خطوة يجب على أي باحث أن يبدأ بها، هي تحديد أدوات بحثه، وأدوات البحث هي مصطلحاته، فكيف إذا كان هذا البحث في الترجمة أو التعريب.

أما فيما يتعلق بالتعريب، فإنه مصطلح أولاً وظاهرة ثانياً، ولعل الجوانب الحضارية للمصطلح هي التي حولته إلى ظاهرة قيل عنها الكثير، وكتب فيها، وعقدت المؤتمرات والندوات من أجلها، حتى خرج الموضوع من إطار التحليل اللغوي إلى إطار التنظير السياسي والاجتماعي والفكري، ولكن بالرغم من كل الندوات والمؤتمرات والاجتماعات والمقالات التي رصدت ظاهرة التعريب، فإنَّ التعريب يفرض نفسه بوصفه قضية، وعندما نقول قضية، فإننا نذكر الحكم والفصل والقضاء، ونحن إذ نصر على فتح ملف قضية التعريب من جديد، فإننا لا ندعي الحكم والحسم. حسبنا أن نطرحها دعوة تجمعنا جميعاً، مهما اختلفت وجهات نظرنا وتباينت مجالات عملنا(*). إن التعريب في العربية هو "صورة لظاهرة لغوية عامة ترضخ بحكمها اللغات إلى الضغط الحضاري التاريخي، فتتحسس لنفسها توازناً بين دفاعها عن نفسها، وقدرتها على استيعاب الحد الأدنى من الدخيل، ويقوى هذا التوازن بقدر قوة المجموعة اللسانية حضارياً"[1].

باعتبار أن التعريب هو مصطلح وحديث عن المصطلحات، فما هو التعريب أولاً، إذ قد يسأل سائل عن أصل هذه الكلمة، ويقول قائل: العربي هو الذي يتكلم العربية فلماذا نطلب منه أن يتعرَّب؟! وقد يلحقه قائلون آخرون يشككون في عربية التعريب ذاته ظانين أن هذا المصطلح هو

---

* الدكتور محمد اسماعيل بصَل مدرّس في قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة تشرين اللاذقية - سورية.

(*) يفرض التعريب نفسه على الجميع بوصفه مسألة تهمنا في حياتنا اليومية إنْ في الاستخدامات اللغوية في السوق والمدرسة والصحافة والدوائر الرسمية، وإنْ في البحوث العلمية والتدريس الجامعي.

[1] د. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص. 28

مفهوم طارئ لم تعرفه العربية من قبل، لذا فإن تحديد المصطلح ضرورة ملحة(**).

إن التعريب في اللغة العربية يعني الإبانة، ويقال أعرب عنه لسانُه وعرَّب أي أبان وأفصَح، ويقال للرجل الذي أفصح بالكلام أعرب، وعرَّب مَنطِقَه أي هذبه من اللحن.. وعرَّبه: علَّمه العربية، وبعد شرح طويل وتفصيلي لمادة ع.ر.ب يصل ابن منظور إلى التعريف التالي: "تعريب الاسم الأعجمي.. أن تتفوه به العرب على منهاجها، عربته العرب، صار عربياً"[1].

إن هذا المفهوم للتعريب هو ما يهمنا في هذا المقام، لأن للتعريب مدلولات أخرى كالترجمة والنقل والتوليد كنقل "نص من النصوص الأدبية أو العلمية أو غيرها من إحدى اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية. هذا النقل الذي ندعوه الترجمة، فالتعريب هنا الترجمة والمعرِّب هو المترجم"[2]. أما عندما نواجه لفظاً أجنبياً، ونتعرَّف على مفهومه، ولا نقدر على اختصار هذا المفهوم بلفظة عربية، فإننا نعرب اللفظة الأجنبية، أي نكسبها وزناً من أوزان العربية ونخضعها لأحكام الألفاظ العربية، وفي هذا المعنى جاء قول ابن منظور في اللسان أن تتفوه به العرب على منهاجها، وقول الجوهري في الصحاح "المعرَّب هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها"[3]. وقول الجواليقي: "المعرَّب هي كلمات عجمية باعتبار الأصل، وعربية باعتبار الحال"[4].

وفي هذا السياق يأتي معنى التعريب عند الثعالبي في الباب التاسع والعشرين، الفصل الرابع من كتابه فقه اللغة وسرُّ العربية "في سياقة أسماء تفردت بها الفرس دون العرب، فاضطرت العرب إلى تعريبها أو تركها كما هي، فمنها من الأواني الكُوز والإبريق والطَّسْت والخِوان والطبق والقصعة. ومن الملابس، السمُّور، الديباج، السندس. ومن الجواهر، الياقوت والفيروزج والبلّور. ومن ألوان الخبز، السميد والكعك...."[5].

إن النتيجة التي توصل إليها ابن جني في القرن الرابع الهجري تختصر إشكالية التعريب برمتها وتضعنا -نحن أبناء القرن

(**) يعرِفُ الباحث والخبير الأستاذ شحادة الخوري كثيرين ممَّن يحتجون على استخدام مصطلح التعريب، يذكر بعضهم في كتابه "القضية اللغوية في الجزائر وانتصار اللغة العربية"، دمشق، مطبعة الكاتب العربي، 1991، ص. 26

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت. مادة ع.ر.ب

[2] شحادة الخوري، القضية اللغوية في الجزائر وانتصار اللغة العربية، دمشق، مطبعة الكاتب العربي، 1991، ص. 26

[3] الجوهري، الصحاح، مادة - ع.ر.ب.

[4] يمكن تقسيم الأسماء الأعجمية إلى ثلاثة أقسام: قسم غيرته العرب وألحقته بكلامهافحُكمُ أبنيته في اعتبار الأصلي والزائد والوزن حكم أبنية الأسماء العربية الوضع، نحو درهم وبهرج. وقسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها نحو آجر وسفسير، وقسم تركوه غير مغيَّر، فما لم يلحقوه بأبنية لم يُعدّ منها، وما ألحقوه بها عدّ منها ومثال الأول خراسان ومثال الثاني خرَّم، وللمزيد من المعلومات، ينظر "المزهر في علوم اللغة وأنواعها" للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، الجزء الأول.

[5] الثعالبي، فقه اللغة وسرُّ العربية، بلا مكان، بلا تاريخ.

العشرين- أمام حقيقة لغوية لا يستطيع العلم إنكارها، بل إنها تصفع كل من يزعم أنه المدعي العام الذي يريد أن يصرخ في وجه كل دخيل، معلناً أن صفاء اللغة هي قضيته. إن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب، وما عرِّب من ألفاظ أعجمية صار عربياً، لأن العرب أجرته بجرى أصول كلامها "ألا تراهم يصرّفون في العلم نحو آجُرّ، وإبْرَيْسَم وفِرِنْدٍ وفيروزج، وجميع ما تدخله لام التعريف. وذلك أنه لما دخلته اللام في نحو الديباج والفرند والسهريز والآجر، أشبه أصول كلام العرب"[1]. وهذا هو أبو علي الفارسي أستاذ ابن جني ومرجعه يقول إذا قلت طاب الخشكنان، فهذا من كلام العرب، لأنك بإعرابك إياه قد أدخلته كلام العرب.

ثمة إذن مسائل وأبنية وأوزان وأحكام في العربية يُقاس عليها الكلام الأجنبي فيصبح كلاماً عربياً. هذا ما قاله الخليل واستخدمه سيبويه ونظّر له ابن جني فهل نخشى عى اللغة أكثر من هؤلاء العلماء، بل هل يُخشى على العربية وهي التي تملك أحكاماً وضوابط ومقاييس قادرة على استقبال واستيعاب وهضم كل ما دخل وماسيدخل إليها. إن" مقدرة لغة ما على تمثل الكلام الأجنبي تعد مزية وخصيصة لها إذا هي صاغته على أوزانها، وأنزلته على أحكامها وجعلته جزءاً لا يتجزأ من عناصر التعبير فيها"[2]

مهما كان الأمر، فإننا لا نستطيع أن ننكر أن في العربية ألفاظاً غريبة استخدمت في مكان ما وزمان ما، ولو ذكرنا بعضها هنا والآن لوجدنا أنفسنا أمام لغة تحتاج إلى ترجمة مثل احرنقز واختتأ وادرنفق واردخل واسلنطح واقرنفط واقعنصر واقعنسس وبدقر وبركع وشقشط، وللمزيد من هذه الثروة اللفظية يمكن الرجوع إلى تهذيب اللغة للأزهري. ألفاظ كثيرة جداً دخلت على اللغة العربية واستخدمتها العرب ومع ذلك فإنها لم تؤثر أو تضعف من قيمة العربية، والدليل هو أن هذه اللغة وصلتنا بعد قرون طويلة لعل أخطرها كانت قرون الاحتلال العثماني قوية شامخة غنية.

إن اللغة لا تقدر على الحياة من دون حرية، وإذا كان للحرية حدود فإن للغة أحكاماً، واتكاءً على هذه الأحكام تقوم حرية التعريب. فلو قلنا ضَرَبْرَب من الضرب وقتلتل من القتل وأكلكل من الأكل وشربرب من الشرب، فإننا نتكلم العربية حتى لو كانت العرب لم تنطق بواحد من هذه الحروف وذلك لأن أبنية التصريف معروفة ومستعملة في العربية، ولكن إذا قلت ارفنعع على قياس اقعنسس. فإن العرب تنكر هذا الاستخدام،

[1] ابن جني، الخصائص، ت، محمد علي النجار، ج1، دار الهدى، بيروت، دون تاريخ، ص.362

[2] د. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، 1973، ص. 314

وذلك لأن نون ارمننعـع لا تستعملها العـرب إلاّ غنّاءً غير مبينة وليست كذلك في اقعنسـس لأنها قبل السين، وهذا موضع تكون فيه مغنـة مشابهة لحرفي اللين"(***).

وفي العصر الحديث هناك البسـكويت والشوكولاته والسندويشة والكازوزة والراديو والتلفزيـون والفـاكس والسـاتالايت والأورغ والشيلو والجـاز.. كلهـا ألفـاظ غـير عربيـة، ويوجـد غيرهـا عشـرات الآلاف مـن المصطلحات العلمية المختلفة.

إن الوقـوف عنـد هـذا الواقـع يجعـل التعريب ظاهرة حضارية وليس مجرد مصطلـح لغوي فالمجتمع الذي يقدم الاختراعات في مجال مـا يحـول المجتمعـات الأخـرى إلى مجتمعـات متلقية تبحث أول ما تبحث عن تسميات لهذه الاختراعات. وها هنا يظهر التمايز بين لغـات هذه المجتمعات، لأن بعضها يمتلـك الخصـائص القـادرة علـى اسـتيعاب متطلبـات التطـور والازدهار العلمي والعربية تتبوأ منزلة مرموقـة بين هذه اللغـات، أمـا بعضهـا الآخـر فإنـه لا يملك هذه الخصائص، وعندها فإن لغة المجتمـع المنتج سـوف تهيمـن وتطغى وقـد تلغي لغـة المجتمع المتلقي تماماً.

ويحدث هـذا الأمـر ليـس عـن طريـق الاشـعاع العلمـي وإنمـا عـن طريـق الغـزو الاستعماري أيضـاً، ولكـن هيهـات أن نقـارن بين طغيان الفرنسية على العربيـة في الجزائـر، وطغيـان الفرنسية على الافريقيـة في بعـض البلـدان الـتي استعمرتها فرنسـا. ففـي الحالـة الأولى سرعان مـا بـدأت الفرنسية بالـتراجع والانحسـار بعـد الاسـتقلال، وإذا كـان هـذا الانحسار جـاء نتيجـة الفعـل السياسـي للثـورة التحريرية ولحزب جبهة التحرير الوطـني، فإنـه لم يكن ليتم لولا الخصائص التي تمتلكهـا اللغـة العربية ذاتها.

إذن فإن الأمر واضـح تمامـاً. اللغـة لا تفقـد بريقهـا أو تخسـر خصائصهـا بمجـرد أن يدخلها مصطلحات جديدة لأن "التأثيروالتـأثر بـين اللغـات قـانون اجتمـاعي انسـاني وإن اقتراض بعض اللغات من بعض ظاهرة إنسـانية أقـام عليهـا فقهـاء اللغـة المحدثـون أدلـة لا تحصى"[1] ولأن اللغة كائن حي، يعيـش وينمـو ويتطور، وقد يموت أيضاً، والموت لا يأتي من ولـوج بعـض الكلمـات إلى العربيـة، بـل إن الموت يتحقـق إذا مـا تعاملنـا بجهـل مـع هـذه الكلمات، ولا أظن أن أحـداً ينكـر مـا عربتـه العرب في الجاهلية وفي الاسلام وبعد الاسلام. ولقد ذكر السيوطي نماذج ممـا ورد في القـرآن بالروميـة والفارسـية والهنديـة والسـريانية والحبشية والنبطية والعبرية حتى التركية"[2]

وإذا ما قيل إن من يزعم أن في القرآن ألفاظاً غير عربية فقد أعظم القول فإن المقصود

(***) انظر ابن جني، الخصائص - الجزء الأول، ص. 360 ومـا بعدها.

[1] المرجع السابق، ص. 315

[2] المرجع السابق.

من هـذا القـول أن الكلمـات الـتي دخلـت في القـرآن وهـي مـن أصـل غـير عربـي عربـت فابتعدت بذلك عن العجمة وخضعت لأحكام العربية، فالأسمـاء الأعجميـة تعـرف بخروجهـا عن أوزان الأسماء العربية كأن يكون أولها نون ثم راء مثل نرجس أو يكون آخرهـا زاي بعـد دال نحو مهندز أو أن يجتمع فيها الصاد والجيم نحو الصولجان والبجص، أو يجتمع فيهـا الجيـم والقاف مثل المنجنيق..[1].

إن العرب حين يلجؤون إلى التعريب. فإنهم يطبقون قواعد اللغة العربية بتغيير شـكل الكلمة المعربـة حتـى تمـاثل كلامهـم وتجـانس ألفـاظهم وحتـى لا يضعـف النظـام الصوتـي للغتهم. وبهذه الطريقة تكـون معرفـة الدخيـل سـهلة واضحـة فعندمـا تخـرج الكلمـة عـن الأوزان العربية وعندما يتعذر تصريف الكلمة، فإن هذا يعني أن الأمر لا يتعلـق بـالتعريب بـل بالتخريب. وهذا ما يحدث عند اقحام الألفاظ الأجنبية بقصد استعراض العضلات والتشدق، أو إدخال العاميات في الفصحى عن جهـل أو استسهال، أو الاعتمـاد علـى نحـت الكلمـات قبـل اللجـوء إلى الاشـتقاق، أو الاتكـاء علـى التعريـب قبـل تجريـب الترجمـة. إن النحـت في اللغة مزية ولكن هناك مزية أفضل منها تساهم في زيادة الثروة اللفظية وتتصـل اتصـالاً وثيقـاً بظاهرة نمو اللغة ونقصد الاشتقاق.

لذا فإن الاستعانة بالتعريب لا تتـم إلاّ بعد المحاولة في الترجمة والاشـتقاق والاسـتعارة والتشبيه والنحت، وإذا كانت أحكـام العربيـة كثيرة فإنها تتفاوت من حيث الأهميـة ويـأتي التعريـب في المرحلـة الأخـيرة بعـد اختبـار الأحكـام الأخـرى، وحتـى عنـد الوصـول إلى التعريب فإن ثمة من يتجـاهل القواعـد العربيـة ويدعي التعريب.

إن للتعريب أصـولاً وضوابـط كتغيـير حروف الكلمة المعربـة وذلـك "بنقـص بعـض الحروف أو زيادتها، وذلك مثل كليدا وبرنامة وبنفشه وبنهره ونشاستج فقد عربوهـا هكـذا إقليد، برنامج، بنفسج، بهرج، نشاء"[2].

أو كتغيير بنية الكلمة لتتفـق مـع بنيـة الكلمة العربيـة مثـل منـع الابتـداء بسـاكن أو الوقـوف علـى متحـرك أو تـوالي سـاكنين، أو كإبدال الحرف الأعجمي بحرف عربي قريـب منه مثل شكر وسلوار وكـاووس وجـك فقـد قلبوها إلى سكر وسروال وقابوس وصك"[3]

ويبقـى التعريـب أفضـل مـن اختـلاق ألفاظ ما أنزل الله بهـا مـن سـلطان، كالمرنـاة

---

[1] يذكر السيوطي الوجوه التي تعرف بها عجمة الاسم منها أن ينقـل ذلـك أحـد أئمـة العربيـة، أو خـروج الاسـم عـن أوزان الأسماء العربية نحو إبريسم، أو أن يكون أوله نون ثم راء، فـإن ذلك لا يكون في كلمة عربيـة، أو أن يكـون آخره زاي بعـد دال، أو أن يكون خماسياً ورباعياً عاريـاً مـن حـروف الذلاقـة وهي الباء والفاء واللام والميم والنون فإنه متى كان عربياً، فـلا بـد أن يكـون فيـه شـيء منهـا، نحـو سـفرجل، وقذعمـل، وقرطعب.

[2] محمـد المبـارك، فقـه اللغـة وخصـائص العربيـة، دار الفكـر، بيروت، 1972، ص.298

[3] المرجع السابق.

للتلفزيون والقفة الهابطة للبراشوت والشاطر والمشطور للسندويشة وأسوق هنا رداً علمياً لطيفاً لرئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة ورئيس اتحاد مجامع اللغة العربية الدكتور ابراهيم مدكور /رحمه الله/ من الخطأ أن يظن أن مجمع اللغة العربية يخترع ألفاظاً.. لقد ادعى [بعض الناس] أن المجمع قد جعل المرادف العربي للكلمة (ساندويش) هي شاطر ومشطور وبينهما طازج وليس صحيحاً بالطبع إننا فعلنا هذا، بل إنني أذكر أن الملك فاروق استجاب لتظرف البعض حين ادعى أن المجمع قد سمى الوزير عرعوراً فدعا أحد وزرائه بالعرعور، وغضب الوزير لهذا، ثم تبين للملك وللوزير أيضاً أن المجمع لم يسم الوزير عرعوراً كما شاعت النكتة... إننا لا نخترع الألفاظ ولا نختلقها اختلاقاً"[1] ويؤكد الدكتور مدكور أن الألفاظ التي يمكن نقلها إلى العربية تنقل بالطرق المعروفة كالاشتقاق والترجمة والاستعارة والمجاز، وإن تعذر الأمر. فإنها تستخدم معربة.

إن التعريب ظاهرة لغوية وحضارية عندما يخضع لنواميس اللغة وللظروف الحضارية لأصحاب هذه اللغة(****).

---

[1] د. ابراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية في مواجهة لغة العلم والحضارة، الفيصل السعودية، 77

(****) تجدر الاشارة هنا إلى أن اللجوء إلى التعريب أو إلى استخدام المعرب لا يعني دوماً فقراً لغوياً أو حاجة حضارية. إن الشيوع والاصطلاح والاتفاق الجمعي هو ما يجعل هذا المصطلح أكثر استخداماً من ذاك، فالمغد والوغد والكهكهب والإنفحة.. كلها أسماء للباذنجان، ولكن الباذنجان المعربة عن البادنكان هي التي راجت، واللغة لا تخشى على نفسها من هذا الرواج شريطة أن تنتهي حرية التعريب عندما تبدأ أحكام العربية.

المراجع والمصادر

د. ابراهيم السامرائي، لغة الصحف وحظها من الفصاحة، مجلة العربي، الكويت، العدد 30، 1983، ص ص 102-105

مجامع اللغة العربية ودورها المنشود، مجلة الفيصل، السعودية، العدد 218، 1995، ص ص 46-49

د. أحمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1993

اسماعيل الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، بلا مكان، بلا تاريخ.

د. الياس قنصل، العلة ليست في اللغة العربية، مجلة الفيصل السعودية، العدد 15، 1978، ص ص ??4-152

د. سامية أحمد أسعد، اللغات الأجنبية والعصر الحديث، مجلة الفيصل، السعودية، العدد الأول، 1977، ص ص 124-128

شحادة الخوري، القضية اللغوية في الجزائر وانتصار اللغة العربية، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، 1991

د. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، 1973

صلاح الدين الزعبلاوي، مع النحاة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1992

محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، بيروت، 1972

محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في علم اللغة، دار إحياء العلوم، بيروت، 1990

د. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984

عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الفكر، بلا تاريخ.

عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، تصوير جامعة حلب، 1979

عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، بلا تاريخ.